

دلائل الإعجاز

(وَهُوَ الضَّارِبُ الكَتِيبَةَ والطَّاعِنَةُ ... تغلو والضَّارِبُ أَغْلَى وَأَغْلَى) .
واشبهه ذلك كلاً منها أخباراً فيها معنى الجنسية وأنها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس
المُطْلَقِ إذا جعلته خبيراً فقلت : أنت الشجاعُ وكما أنك لا تقصدُ بقولك : أنت
الشجاعُ إلى شجاعةٍ بعينها قد كانت وعُرِفَتْ من إنسان . وأردت أن تعرفَ ممن كانت
بل تريدُ أن تقصُرَ جنسَ الشجاعة عليه ولا تجعلَ لأحدٍ غيره فيه حظاً . كذلك لا
تقصدُ بقولك : " أنت الوفيُّ حين لا يفي أحدٌ " إلى وفاءٍ واحدٍ كيفاً وأنت تقول : "
حين لا يفي أحدٌ " . وهكذا محالٌ أن يقصدَ من قوله : " هو الواهبُ المئةَ
المصطفاةَ " إلى هبةٍ واحدةٍ لأنه يقصدُ إلى مئةٍ من الإبلِ قد وهبها
مرةً ثم لم يعدْ لمثلها . ومعلومٌ أنه خلاقُ الغرضِ . لأن المعنى أنه الذي من شأنه أن
يهبَ المئةَ أبدأً والذي يبلغُ عطاؤه هذا المبلغَ كما تقول : هو الذي يُعطي مادِحَه
الألفَ والألفين وكقوله - الرجز - :

(وحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ الميِّ ...) .

وذلك أوضحٌ من أن يخفى . وأصلُ آخرٌ وهو أن من حَقَّ لنا أن نعلمَ أن مذهبَ
الجنسية في الاسم وهو خبرٌ غيرٌ مذهبها وهو مبتدأ . تفسيرُ هذا أننا وإن قلنا : إن
اللامَ في قولك : أنت الشجاعُ للجنس كما هو له في قولهم : الشجاعُ موقى والجبانُ
مُلَقَّى فإنَّ الفرقَ بينهما عظيمٌ . وذلك أنَّ المعنى في قولك : الشجاعُ موقى أنك
تُثبِتُ الوقايةَ لكلِّ ذاتٍ من صفتها الشجاعةُ فهو في معنى قولك : الشجاعُ كلهم
موقىون . ولستُ أقولُ : إن الشجاعَ كالشجاع على الإطلاق وإن كان ذلك ظناً كثيراً من
الناس ولكنني أريدُ أنك تجعلُ الوقايةَ تستغرقُ الجنسَ وتشمِّلهُ وتَشيعُ فيه . وأما
في قولك : أنت الشجاعُ فلا معنى فيه للاستغراقِ إذ لستُ تريدُ أن تقولَ : أنت الشجاعُ
كلُّهم حتى كأنك تذهبُ به مذهبَ قولهم : أنت الخلقُ كلُّهم وأنت العالمُ . كما قال
- السريع -